

## الفصل الثالث عشر غزو العراق للكويت وتداعياته

يروي هذا الفصل، الذي يغطي ثلاث سنوات تقريبا من عام 1988 إلى عام 1991، مفارقة مأساوية تنقلنا من حالة التفاؤل والطموح بوحدة الهدف بين العرب، بعد توقف الحرب العراقية الإيرانية وانطلاق ثورة الحجارة في فلسطين، إلى واقع تمزق وحدة الصف العربي ليس على المستوى الرسمي فقط وإنما على المستوى الأهلي أيضا، بسبب غزو العراق للكويت واجتياحه وتشريد أهله، وما تبع ذلك من تدمير العراق وغزوه واحتلاله بعد ثلاثة عشر عاما من الحصار.

من هنا كان الفصل مضطربا وموزعا بين شعور التفاؤل في البداية الذي عبر عنه بالنسبة لي قيام الجماعة العربية لتعزيز التضامن العربي، وبين شعور القلق من الحرب التي بدت طبولها تصم الأذان وتشتت الذهن عن ضرورة محاولة العرب تحرير الكويت دون تدمير العراق.

### 1-13 الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي

شهد النصف الثاني من عقد ثمانينيات القرن العشرين نمو روح التضامن العربي مرة أخرى، على المستوى الأهلي والرسمي. وذلك بعد أن تم ضرب ما تبقى من وحدة الصف العربي الرسمي أثر توقيع السادات اتفاقية كامب ديفيد ونقل الجامعة العربية من القاهرة لتونس، مع عزل مصر، وهي أهم الدول العربية في الصراع العربي الإسرائيلي الذي يمثل محور وحدة الصف ووحدة الهدف بين العرب.

وقد بدأت عودة وحدة الصف العربي الرسمي هذه المرة مع نهايات الحرب العراقية الإيرانية، متمثلة في تزايد الاقتناع العربي العام بضرورة إيقاف تلك الحرب المهددة للأمن القومي العربي والممزقة لروابط الأخوة الإسلامية. وتزايد نمو التضامن العربي، خاصة بعد اندلاع انتفاضة الحجارة المباركة في فلسطين ضد العدوان والاحتلال والاستيطان الإسرائيلي.

وقد صاحب ذلك التقارب في التوجه العربي العام إلى التضامن، تزايد السعي لوضع حدا للحرب الأهلية في لبنان (مؤتمر الطائف)، وإسدال الستار مؤقتا على موجة من موجات تقسيم المقسم في الوطن العربي، وهي موجة بدأت بالحرب الأهلية في لبنان وامتدت احتمالاتها للعراق قيل أن يتحول اتجاه الحرب لصالح الدفاع عن وحدة العراق دون مطامع في أراضي إيران أو اصرار على إسقاط نظام الثورة الإسلامية فيها، إلى أن اقتنع طرفا الحرب أخيرا أن الجنوح للسلم بين البلدين الجارين المسلمين مهما كانت مرارته أولى من استمرار الصراع الدموي.

في هذا الجو المتفائل بالتضامن العربي وجدت الجماعة الأهلية لتعزيز جهود إيقاف الحرب العراقية الإيرانية بعد أن توقفت الحرب، أن وجودها كان يعبر عن فهم عملي للتعاون المشترك بين قيادات العمل الأهلي في الدول العربية بصرف النظر عن منطلقات المشاركين في أنشطتها، طالما أمكن الاتفاق بينهم على أهداف محددة تتوافق على السعي من أجل تحقيقها تيارات وقوى أهلية فاعلة على الساحة العربية، بصرف النظر عما بينها من اختلافات عقائدية أو مصلحية أخرى.

ولذلك اتجهت الجماعة الأهلية إلى التحول في صيف عام 1988، إلى جماعة عربية لتعزيز التضامن العربي كما سبقت الإشارة. فقد جرى خلال صيف عام 1988 التشاور حول ذلك وتم التحضير له، وعقد اجتماع عام في مدينة الإسماعيلية دعي إليه جميع أعضاء الجماعة الأهلية التي أسهمت بالجهود الرامية لإيقاف الحرب العراقية الإيرانية، بقصد النظر في مستقبلها.

\*\*\*\*\*

عقد الاجتماع، الذي تحول إلى مؤتمر تأسيسي للجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي والذي استمر يومين في فندق إيتاب بمدينة الإسماعيلية. وبعد مداوات مكثفة، صدر عنه بتاريخ 1988 /10/20 بيان بتأسيس الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي من قبل مؤسسي الجماعة الأهلية لتعزيز جهود إيقاف الحرب العراقية الإيرانية، التي تعتبر أطول حرب في القرن العشرين كما سبقت الإشارة. (انظر نص البيان) <http://www.dr-alkuwari.net/sites/akak/files/commforarabsolidarity.pdf>

وقد أشار بيان التأسيس إلى أن الواقع العربي "يطرح أهمية استمرار الجماعة الأهلية وتطوير دورها بعد أن توقف إطلاق النار في الحرب العراقية – الإيرانية". فقد كان "تحرك شخصيات عربية لها وزنها وأثرها على مختلف قطاعات الرأي العام من أجل إيقاف الحرب... بادرة مسؤولة"... "حري بنا أن نوظفها من أجل تنمية تعاون فعال بين قيادات الفكر والعمل الأهلي لمواجهة تحديات الحاضر ومخاطر المستقبل. كما أن الاستجابة التي حظي بها المؤتمر الشعبي الذي دعت إليه الجماعة الأهلية في الخرطوم... قد أشار إلى استعداد طيب لدى قيادات العمل الأهلي على التحرك المشترك من أجل القضايا ذات التأثير الاستراتيجي على أمن وتنمية المجتمعات العربية".

وأكد البيان أيضا على أن تطوير الجماعة الأهلية يقتضي تسميتها "الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي، كما يقتضي هذا التطوير استمرار الجماعة الأهلية في استقطاب مختلف التيارات الفكرية وجميع فعاليات الفكر والعمل الأهلي وتشجيع مشاركتها في حوار جاد ومسؤول يركز على قضايا الأمن والتنمية في البلدان العربية". وذكر البيان أن الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي سوف تعمل "باعتبارها منتدى للفكر والحوار السياسي، تسانده وحدة بحث لإجراء البحوث والدراسات التي يتطلبها العمل الأهلي المشترك". كما حدد البيان غرض الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي "ابتداء بقضايا التماسك الداخلي للمجتمعات العربية، وقضايا الأمن القومي العربي، وقضايا الشورى والديمقراطية".

وأشار البيان التأسيسي إلى أن الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي تنطلق في عملها من "حقيقة كون المجتمع العربي بنية وكيانا تاريخيا واقعيا قائما يشترك أفراد وجماعاته في اللغة والثقافة والتاريخ وتجمعهم وحدة المصالح والمصير، وهو ما يتطلب إدراك أهمية الرابطة الحضارية العربية ودورها في صيانة الوجود وبناء المستقبل"، وأضاف "أن هذه الرابطة بين مواطني الدول العربية رابطة جامعة". هذا إلى جانب "تكاملها مع الرابطة الإسلامية وعدم تعارضها مع تفصيلات وجود مصالح طبقية في المجتمع العربي. فضلا عن أن هذه الرابطة، باعتبارها هوية ثقافية وحقيقة جغرافية، هي رابطة توحيد في إطار التنوع، تتيح لقيادات الفكر والعمل من مختلف التيارات ومن مختلف البلاد العربية أن تتصدى للقضايا المصيرية".

وأضاف البيان قائلا "إن المجتمعات العربية مطالبة ابتداء بأن تسيطر على الصراعات الطائفية والسلالية والعقائدية وأن تحاول إخضاعها لموجبات العقل ومقتضيات المصلحة المشتركة، بعد أن أصبحت الصراعات تفكك بينيتها وتفكك عوامل الوحدة فيها". وقال البيان مؤكدا "أن مثل هذه السيطرة أمر ضروري بعد أن طغت التناقضات الثانوية بين أبناء الوطن الواحد على التناقضات الرئيسية مع أعدائهم".

وأشار البيان إلى أن الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي سوف تسعى "إلى جمع قيادات الفكر والعمل الأهلي في البلاد العربية حول اهتمامات مصيرية". مؤكدا "أن المجتمعات العربية تواجه تحديات مصيرية. وقد أظهرت مختلف الدراسات المستقبلية أن استمرار سيناريو الواقع الراهن ينذر بتزايد العجز والتخلف وتدهور مستوى معيشة الغالبية العظمى. كما ينذر أكثر من ذلك بتفكك المجتمعات العربية وتزايد الصراعات الدموية بين الجماعات والحكومات وبين الجماعات نفسها داخل البلد الواحد وعبر المنطقة العربية، هذا في الوقت الذي سوف تستمر فيه القوى الكبرى تسعى إلى تشكيل مستقبل الجماعات ومسار الدول العربية. كما أن العدو الصهيوني لن يفوت الفرصة في تحقيق استراتيجيته العدوانية ضد الأمة العربية".

وأمام كل هذه الأخطار أكد البيان في الختام على أن "قيادات الفكر والعمل السياسي مطالبة الآن وقبل فوات الأوان – أن توجد منتدى للفكر والحوار السياسي يستطيع أن يرشد استجابة الأمة العربية للتحديات ويعبر عن اهتماماتها المشتركة، وأنهم مطالبون أن يرتفعوا بحس المسؤولية الجماعية فوق التناقضات الثانوية، وأن يشرعوا في حوار بناء يساعد على خلق بيئة نضالية للعمل الأهلي ويؤدي إلى تنمية تجانسه الحركي تجاه القضايا المصيرية".

والى جانب اهتمام الجماعة الأهلية بإيجاد منتدى للفكر والحوار السياسي ومنبر أهلي مشترك، أكد البيان أيضا، كما سبقت الإشارة، على حاجة "الجماعة الأهلية إلى مساندة نشاطها بوحدة لبحوث العمل الأهلي المشترك تقوم بالبحث والدراسة والمتابعة والنشر. وهذا البعد العلمي والثقافي يمثل ضرورة لتطوير العمل الأهلي المشترك والبحث الموضوعي لمشكلاته ومتابعة شؤونه وتوصيل اهتماماته".

\*\*\*\*\*

تلك هي الصورة المتفائلة التي عبر عنها بيان تأسيس الجماعة العربية لتعزيز التضامن العربي، في وقت بدا فيه التضامن العربي ممكنا وتحقيق وحدة الصف أمرا محتملا على المستوى الأهلي على الأقل. فانطلق جهد الجماعة الأهلية مركزا في بدايته على فهم الواقع العربي الجديد وتبني القضايا التي وردت في بيان تأسيس الجماعة وتوفير الإمكانيات المساندة لعمل

الجماعة، مثل وحدة البحوث والنشر التي أكدت الحاجة إليها طبيعة عمل الجماعة الدائم مقارنة بجهداها السابق المرهون بوضع نهاية للحرب العراقية الإيرانية.

عقدت الجماعة عدة لقاءات بعد الاتفاق على تحويل الجماعة الأهلية إلى جماعة لتعزيز التضامن العربي، بمن حضر من أعضاء الجماعة من أجل الإعداد لاجتماع عام ثانٍ يعقد في مطلع عام 1989 بعد حوالي ستة أشهر من تأسيسها.

وفي الفترة من 3-6 آذار/مارس 1989 عقد في فندق النيل هيلتون بالقاهرة اجتماع حضره أعضاء الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي. وبدأ الاجتماع بجلسة عامة تحت عنوان " نحو ترشيد الاستجابة العربية لتحديات الواقع الراهن " استغرقت يومين، قدمت في اليوم الأول منها الأوراق التالية لطرح أهم التحديات للمناقشة:

- قدم الدكتور احمد صدقي الدجاني ورقة عمل حول 'مخاطر تفكيك المجتمعات العربية من الداخل'، ركز فيها على شرح تصور رسمه على خرائط جغرافية يعبر كل منها عن تنوع من التنوعات المتعددة في الوطن العربي: خارطة بالتنوع الديني وأخرى بالتنوع المذهبي وثالثة بالتنوع اللغوي ورابعة بالتنوع الإثني والأجناس. ومن ثم رسم خارطة للدول العربية الراهنة وحدودها السياسية، تظهر على كل منها تلك التنوعات. وقد هدفت الورقة إلى إظهار حقائق لا يهتم بوجودها الفكر القومي العربي بل يهملها باعتبارها تنوعا داخل الوحدة لا يجوز الإكثار من الحديث حوله، بينما تعتبر مهمة لدى بعض الأقليات في الداخل، كما يركز عليها الخارج المعادي لوجود هوية عربية إسلامية جامعة، باعتبارها اختلافات تنسج حولها التقسيمات المستهدفة في الدول العربية وتثار الصراعات والحروب الأهلية. وكان هدف الورقة هو إبراز التنوع والاعتراف به والحد مما يمكن أن يحمله تحول التنوع الموجود في النسيج الوطني لكل أمة إلى اختلاف ومصدر للصراع يندرج بتفكيكها. ومن ثم تطرق الباحث إلى الشروط والمتطلبات السياسية؛ وأولها نظم الحكم الديمقراطية التي تحول احتمالات الاختلاف الخطر إلى تنوعا داخل الوحدة بدل أن يكون الاختلاف الديني والمذهبي الإثني واللغوي، حيث وجد، مصدرا للصراع ووسيلة لتفكيك الدول والمجتمعات العربية وتقسيم المُقسّم على نار الحروب الأهلية الملتهبة.
- وقدم الأستاذ أمين هويدي مداخلة حول، أهم مصادر التهديد الخارجي للأمن القومي العربي. وتوقف عند أهمية نمو موقف عربي أهلي ورسمي معارض لكل تهديد خارجي للدول العربية. الأمر الذي يتطلب وجود رأي عربي عام ضاغط في اتجاه عدم تناقض تحالفات الدول العربية الخارجية مع التزاماتها الجماعية بتأمين الأمن القومي العربي.
- وقدم الأستاذ احمد عبد العزيز السعدون مداخلة حول، قضايا الشورى والديمقراطية في البلاد العربية. وتوقف رئيس مجلس الأمة الكويتي الذي تم حله بشكل غير دستوري آنذاك، عند أهمية أن يصبح مطلب الانتقال إلى نظم حكم ديمقراطية أو العودة للحياة الديمقراطية في حالة تعطيلها كما هو الحال في الكويت آنذاك، كمطلب شعبي وطني عام تتحد حوله القوى السياسية والفعاليات الأهلية بصرف النظر عن اختلافاتها العقائدية وتوجهاتها المصلحية. وضرب مثلا بتحركات ديوانيات الائتلاف السلمية في الكويت التي بدأ الحضور فيها يعد بعشرات الآلاف تسد الشوارع المحيطة للديوانية، كما صاحبها العرائض الشعبية والتحركات الأهلية القطاعية المطالبة بالعودة للحياة الديمقراطية في الكويت خلال عام 1989 لمدة استغرقت أكثر من عام قبل غزو العراق للكويت. وفي اليوم الثاني طرحت للنقاش الاستجابة الممكنة للتحديات:
- تحدث الأستاذ محمود رياض، حول الإمكانيات الراهنة للعمل العربي المشترك والعلاقات العربية-العربية. وأكد على أهمية تعزيز الضغط الأهلي من أجل نمو إرادة التنفيذ لدى الحكام العرب والحكومات العربية. فالإرادة الرسمية هي الأمر الأكثر ضعفا في حلقة اتخاذ القرارات العربية وفعاليتها. ومن هنا يجب تعزيز الإرادة الرسمية بمطالب شعبية واضحة وقوية ورأي عام عربي مستنير يتحرك بالتوازي مع تركت الحكومات وبشكل ضغطا إيجابيا عليها.
- وتطرق الاجتماع في اليوم الثاني في جلسة نقاش مفتوحة 'كيفية تعزيز الاستجابة الأهلية لتحديات الواقع العربي' طرحت فيها مداخل وألويات لتعزيز الاستجابة العربية للتحديات التي تواجه الدول العربية.

- وفي ختام الاجتماع العام تم وضع تصور أولي لبرنامج تحرك الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي، يتم تنفيذه وفقا لوجود الإمكانيات ونمو العلاقات التي تسمح بالتحرك الأهلي. كما تم التأكيد على أن غرض الجماعة يحتاج إلى متابعة دائمة وتحضير واتصالات كثيفة يجب بناؤها قبل مباشرة التحركات المنتظرة من الجماعة. كما يحتاج إلى سكرتاريا وتأسيس وحدة بحوث العمل الأهلي التي تتطلب بدورها موارد مالية جارية، وربما تحتاج في المدى المتوسط لوجود وافية لتعزيز العمل الأهلي.

\*\*\*\*\*

وفي اليوم الثالث اجتمعت لجنة تنفيذية تم تشكيلها لتحديد المهمات العاجلة والنظر في الإمكانيات المطلوبة لوضع برنامج الجماعة موضع التنفيذ. وهنا كثرت القضايا وتعددت الأولويات. وكان لا بد من تحديد مهمات عاجلة في انتظار ما يمكن توفيره من موارد مالية وترتيب علاقات تعاون مع جهات إقليمية رسمية وأهلية تسهل على الجماعة تنفيذ برنامج تحركها الطموح تدريجيا. فالمهمات المطلوبة كبيرة وذات طبيعة مستمرة ولا بد من البدء بما يمكن البدء به.

وأذكر أن اللجنة رأت أن العمل على راب الصدع بين القوى المتصارعة على المستوى الأهلي في البلدان العربية يجب مواجعتها بشكل عاجل خشية أن تؤدي إلى تفكيك المجتمعات العربية وتهديد الأمن القومي العربي. ومن بين هذه القضايا الحرب الأهلية في السودان بين الجنوب والشمال، التي تهدد بتفاقم الصراعات الإقليمية وتقسيم السودان.

ويمكنني اليوم أن أقول إن رؤية الجماعة الأهلية كانت مهمة حول ضرورة الوفاق بين النخبة السياسية في الشمال من أجل استقرار السودان ووحدته في ضوء ما تعرض له السودان الحبيب ويتعرض له اليوم من تجزئة وحروب أهلية وصراعات قبلية ومناطقية، كانت بادية للعيان قبل ربع قرن، ومكتوبة على الجبين في حالة استمرار الاستقطاب والصراع بين النخب في شمال وجنوب وغرب السودان وشرقه.

وقد وجدت اللجنة التنفيذية أن معالجة الصراع بين شمال السودان وجنوبه يتطلب بالضرورة السعي لإيجاد موقف موحد في الشمال، حيث يقع المركز لحل قضايا السودان ومن بينها قضية الحرب في الجنوب. ولذلك كان لا بد من بدء الحوار الذي يمكن أن يؤدي إلى ذلك بين الشماليين أولا. فقد كانت خلافات الشماليين فيما بينهم وعدم وجود رؤية مشتركة لديهم تجاه مطالب ومظالم الجنوب وبقية أقاليم السودان أحد الأسباب الرئيسية لاستمرار الصراع وتفاقمه. وقد تم تكليف المشير عبد الرحمن سوار الذهب بالاتصال بالدكتور حسن الترابي، كما كلف الدكتور أمين مكي مدني بالاتصال بقيادات سودانية أخرى من أجل ترتيب ذلك الاجتماع بين القوى السياسية في شمال السودان.

ولكي يكون ذلك الاجتماع منتجا ومدارا بشكل مهني، كان لا بد من الاستفادة من أساليب حل النزاعات وإجراء الحوار بين قوى مختلفة ومتصارعة. وقد أبدى الأستاذ عبد الرحمن اليوسفي شفاه الله وعافاه مما ألمّ به أخيرا، بحكم علاقته بقوى السلم في أوروبا أن يتصل وينسق مع جمعية إيطالية مختصة في مسائل الحوار من أجل المصالحة ودعوتها للتعاون مع الجماعة الأهلية من أجل لعب دور الوسيط المهني النزاهة في تلك الاجتماعات.

وبعد مدة من اجتماع القاهرة، اتصل المشير سوار الذهب وطلب تأجيل الاتصالات لبعض الوقت لأن الدكتور الترابي مشغول بسلسلة من الزيارات لدول الجوار الأفريقي! وقبل أن تعود اتصالات الجماعة مع القوى السياسية في شمال السودان، فوجئنا بقيام ما سمي بثورة الإنقاذ في السودان بتاريخ 30 حزيران/يونيو 1989، الأمر الذي تأجل بسببه سعي الجماعة الأهلية لترتيب حوار بين القوى السياسية في شمال السودان من أجل مصالحة بين الشمال والجنوب، بعد أن سجن معظم الرموز السياسية في شمال السودان ومنهم حسن الترابي من (أجل التمويه)، عند قيام الجيش السوداني بقيادة البشير بالانقلاب على الديمقراطية الهشة في السودان. وبذلك انقطع جهدنا في أول تجربة حوار وطني كنا نسعى لعقده من أجل المصالحة على قاعدة التنمية والديمقراطية كنموذج لمصالحات تاريخية لازمة لتخفيف حدت الصراعات الأهلية في الدول العربية.

استمرت الجماعة الأهلية في البحث عن موارد مالية، ولم يكن ذلك مهمة عسيرة، وسعت لإنشاء علاقات تعاون تساعدنا على تنفيذ برنامج عملها الدائم الطموح بعد أن أصيبت بأول خيبة أمل في إطلاق نشاطها في مجالات كان يمكن أن تصل

ففيها إلى نتيجة تقدم بها تحركها الجديد. ولم يكن من السهل على الجماعة العربية أن تنطلق حتى فوجئنا في الثاني من أغسطس عام 1990 بغزو العراق للكويت واجتياحه في عدة ساعات. وكانت الجماعة العربية لتعزيز التضامن العربي من بين ضحايا ذلك الغزو الغادر المشؤوم.

## 2-13 استراحة: رحلة مع أسرتي حول العالم

قبل الانتقال للحديث عن غزو الكويت في عام 1990 وتوابعه، وهي القصة الحزينة المؤلمة والضربة القاضية على بوادر التضامن العربي التي بدأت في الأفق آنذاك، اسمحوا لي بأن أعود قليلاً إلى الوراء عاماً واحداً، حيث أتوقف عند استراحة سعدت بها في صيف عام 1989، وذلك عندما نفذت وعداً لأسرتي بأن أطوف بهم في رحلة طويلة حول العالم إلى بلدان ومدن زرتها وتحدثت إليهم عنها بإعجاب ليروا بأنفسهم العالم الواسع ويتعرفوا على مختلف الحضارات الإنسانية. واعتذر هنا عن وصف أغلب الأماكن السياحية والآثار التي زرناها، لأنني سبق وأن وصفتها في سياق الفصول السابقة من هذه الذكريات، وسأشير فقط إلى مسار الرحلة ومحطاتها والجديد فيها بالنسبة لي.

\*\*\*\*\*

في بداية إجازة صيف عام 1989، بدأنا سفرنا حول العالم، زوجتي أم خليفة وأبنائي ضحى وخليفة وصبا التي ناهزت السبع سنوات من العمر، في رحلة استمرت نحو ثلاثة أشهر، رتبناها بدقة قدر المستطاع. وحصلت على التأشيرات العديدة وحجزت تذاكر السفر على الخطوط الجوية البريطانية التي كانت تشارك الخطوط الجوية الأميركية في نقل الركاب في الشرق الأقصى الذي سنزوره. كما حجزت الفنادق في كل دولة ومدينة نمر بها، وكان معظمها في سلسلة فنادق شيراتون أو هيلتون حيث وجدنا، على أمل أن تسير رحلتنا كما خططنا لها دون حاجة لتغيير حجوزات الطيران والفنادق طوال أكثر من شهرين من السفر، لنبدأ رحلتنا إلى لندن متجهين للشمال والغرب ونهيهما عائدين من أقصى الشرق إلى الدوحة.

بدأنا رحلتنا من الدوحة إلى لندن حيث مكثنا عدة أيام ننهى فيها، بمساعدة كريمة من سفارة قطر، الحصول على تأشيرات بعض الدول التي تعذر علينا الحصول على تأشيرات لها من الدوحة ودول المنطقة. وبعدها توجهنا من لندن إلى جمهورية البرتغال التي لم يسبق لي ولا لإفراد عائلتي زيارتها بالرغم من زيارتنا لمعظم دول أوروبا الغربية وعواصمها. وعندما وصلنا مطار لشبونة فرحين ببدء الرحلة، فوجئنا بموظف الجوازات يرفض السماح لنا بالدخول لسبب بسيط هو أننا نسينا في زحمة الترتيبات أن نحصل على تأشيرة دخول للبرتغال. وكان ذلك مفاجأة غير سارة لم نتوقعها وعلينا العودة إلى لندن بطائرة الخطوط الجوية البريطانية التي وصلنا عليها. فقد كان يوم إجازة الأحد، ولا توجد أي فرصة للاتصالات الرسمية من قبل مراقبة جوازات المطار أو من جهتنا.

عدنا إلى لندن محاولين تهوين الأمر على أنفسنا قائلين: من يريد بلدهم المعقد؟ هم الخاسرون! وينطبق علينا قول 'من لا يطال العنب حامض عنه يقول' على حد تعبير أغنية المطربة أحلام. وسنقضي عدة أيام في لندن ونغادر للبلد الثالث في جدول رحلتنا حول العالم وهي برمودا. أقمنا حسب ما أذكر في فندق شيراتون تشيلسي في وسط مدينة لندن، وبدأنا نفكر في قضاء بقية أسبوع الانتظار في زيارة إلى شمال غرب بريطانيا وبعض المناطق الجبلية في ويلز حيث سنمكث يومين في مدينة بلاكبول حتى ينتهي أسبوع رحلة البرتغال ونواصل رحلتنا إلى جزيرة برمودا في البحر الكاريبي في موعدها المحدد.

وبالفعل قضينا أياماً جميلة في زيارة مرتفعات ويلز وبيتها النقية بجداولها المناسبة عبر المرتفعات، ويومين في مدينة بلاكبول الساحلية المشهورة بالألعاب الأطفال والأنشطة السياحية للأسر البريطانية، خاصة في عظة المدارس. وعوضنا ذلك إلى حد ما عن رحلة البرتغال وزيارة لشبونة التي كنا نهدف بعدها استكمال زيارتنا السابقة لإسبانيا وأثارها العربية الإسلامية.

عدنا بعد تلك الرحلة الجانبية إلى لندن استعداداً للسفر إلى برمودا بعد يومين، غير أننا لاحظنا خلالهما أعراض زكام لدى صبا ربما التقطت فيروسة من ملاعب مدينة بلاكبول التي تغص بالأطفال من أرجاء إنجلترا. وفي موعد السفر إلى برمودا اتجهنا إلى مطار هيثرو. وبعد أن أنهينا إجراءات السفر والجوازات ودخلنا إلى صالة المغادرين لاحظنا أن الزكام

زادت وطأته على صبا وصاحيته حرارة ملحوظة، فقررنا الذهاب إلى مستوصف المطار لأخذ أدوية ربما نحتاجها أثناء الرحلة. وعندما فحصت الممرضة صبا ووجدت درجة حرارتها مرتفعة مع وجود التهاب لديها وصل للأذنين بعد أن تجاوز الأنف والحنجرة، قررت منعنا من السفر. وعرضت علينا أن تصدر أمرا طبيا بإنزال حقائبنا وترتيب رحلة ثانية لنا إلى برمودا بعد عدة أيام.

ولم يكن بيدنا سوى الموافقة والعودة إلى الفندق في لندن للمرة الثالثة بسبب الزكام هذه المرة، وكان لنندن لا تريد تركنا لقضاء الصيف خارج بريطانيا هذا العام وتغيير ما اعتدنا عليه في كل عام من قضاء الإجازة في مدينة أكسفورد جارة لنندن. ومع ذلك لم تثننا العراقل ولم نتطير من تلك العقبات التي واجهت رحلتنا في بدايتها.

انتظرنا انتهاء مدة النقاهة لصبا وواصلنا رحلتنا حول العالم متأخرين بضعة أيام جعلتنا نعيد ترتيب ما تبقى من محطات الرحلة. وغادرنا إلى جزيرة برمودا في البحر الكاريبي لنقضي عدة أيام لم يفتنا فيها أن نكون على الفور على صلة بطبيب أطفال. وكان الطبيب جالسا على مكتبه بلباس رسمي، قميص وربطة عنق أنيقة، ولكن عندما قام ليودعنا لاحظنا أنه لا يلبس بنطلونا طويلا كما توقعنا من مظهره الرسمي الأنيق وإنما يلبس بنطلون خاكي قصير كما يفعل معظم الرجال هناك.

كما كانت مفاجئتنا كبيرة عندما علمنا أن تلك الجزيرة الخضراء لا يوجد فيها أنهار أو ينابيع وإنما تعيش أشجارها على ندى المحيط وما ينزل عليها من أمطار غير منتظمة. ومن الطريف أن السائق الذي صاحبنا في برمودا كان كثير الكلام إلى درجة لا يسمح فيها لي بالحديث بل يقاطعني، الأمر الذي جعل أبنائي يشمتون بي قائلين: الله سلت عليك من لا يعطيك فرصة الكلام مثلما تعمل معنا أحيانا! سامحهم الله.

غادرنا برمودا إلى مدينة أورلاندو في ولاية ميامي بالولايات المتحدة الأميركية لزيارة 'ديزني لاند'. وكنا على موعد مع إبراهيم بن عبد الله المناعي شقيق زوجتي أم خليفة الذي كان يدرس في الولايات المتحدة الأميركية، لزيارة عجائب ديزني لاند التي نزورها لأول مرة.

وبعد أن مكثنا عدة أيام قضينا معظمها في ديزني لاند وبعض المواقع السياحية للأطفال، غادرنا أورلاندو إلى مدينة نيويورك ليرى الأهل أضخم مدن أميركا وأكثرها شهرة ويأخذوا انطبعا عن ناطحات السحاب ومعالم نيويورك وأحياءها المشهورة والحركة السريعة فيها، كما زرنا ضاحية بروكلن المشهورة بالمناجر والمقاهي العربية وحي هارلم حيث يقيم الأميركيون من أصل أفريقي.

ومن نيويورك ذهبنا إلى مدينة تورنتو في كندا لزيارة شلالات نياغرا العجيبة القريبة منها. وأثناء زيارتنا لتورنتو قمنا أيضا برحلة بالقطار إلى مونتريال، المدينة الأوروبية الطابع في أميركا الشمالية بالمقارنة مع مدينة تورنتو ذات الطابع الأميركي- البريطاني، وذلك قبل أن نتجه إلى لوس أنجلوس عن طريق شيكاغو للتعرف على غرب الولايات المتحدة وزيارة استوديوهات يونيفرسال، وكذلك زيارة أقدم مدن ولت ديزني وأعرقها في لوس أنجلوس. وقد أخذنا بالتحذير الذي قيل لنا عن خطورة زيارة وسط المدينة لكثرة المدمنين وكثرة الجرائم هناك واكتفينا بزيارة حي بفرلي هلز حيث يسكن مشاهير الممثلين الذين تزين أسماؤهم أرصفة شوارعها. كما زرنا بعض الضواحي في لوس أنجلوس.

\*\*\*\*\*

بعد ذلك اتجهنا غربا في الطريق إلى الشرق معرجين مع تدوير الكرة الأرضية على جزر هاواي حيث مكثنا عدة أيام قمنا فيها بزيارة الموقع الذي شهد أضخم خسائر الولايات المتحدة البحرية في الحرب العالمية الثانية، وهو ميناء بيرل هاربر الذي ضربته الطائرات اليابانية في غارة مفاجئة لم يكتشفها الرادار الأميركي في أواخر الحرب العالمية الثانية. وما زالت بعض بواخر الأسطول الأميركية التي تم ضربها معطوبة هناك غارقة في الميناء وظاهرة للعيان. ولم يشف غليل الولايات المتحدة من آثار تلك الضربة القاضية المفاجئة على سطولها في المحيط الهادي سوى تدمير مدينتي هيروشيما وناغازاكي بأول وآخر قنبلتين ذريتين يتم تفجيرهما في العالم مخلقتين أبشع الدمار الإجرامي ضد الإنسانية، وقد أسف لحصولهما دون أن يعتذر عنهما الرئيس أوباما في زيارته عام 2016.



كما زرنا جزرا أخرى غير الجزيرة الرئيسة في هاواي ضمن رحلات منظمة، وتعرفنا على العادات والتقاليد والرقص المميز هناك بتنورة القش. ومن بين الأشياء التي تمتعت بها على سواحل جزر هاواي السباحة في المحيط الهادئ حيث الأمواج الضخمة العالية التي تصل إليك من أعماق المحيط دون زبد فتحملك بلطف عاليا وتدلك جسمك دون أن يزعجك ركوب الموج هناك وكأنك على بساط الريح. وقد كانت زيارتنا لجزر هاواي لحظة فاصلة بين الغرب والشرق. ففي جزر هاواي يلتقي الغرب بالشرق في أكثر من ناحية، من الوجوه إلى الملابس والأكل والرقص والعادات.

سافرنا من هاواي متجهين إلى اليابان في الشرق الأقصى وبدأنا بزيارة طوكيو بالطبع حيث أخذت العائلة لزيارة ما سبق أن شاهدته وكتبت عنه مؤخرا من معالم طوكيو. وبعد أيام قليلة بدأنا رحلة خاصة منظمة لمدة أربعة أيام إلى جبل فوجي والبحيرات المحيطة به ومن ثم قمنا بزيارة مدينتي كويتو ونارا التاريخيتين قبل أن نعود إلى طوكيو بالقطار السريع جدا – Bolt Train - ونغادرها بعد أن تسوقنا فيها، إلى بكين عاصمة الصين التي زرتها بدعوة من مؤسسة آغا خان للعمارة الإسلامية قبل عشر سنوات.

\*\*\*\*\*

وجدت بكين عام 1989 غير بكين عام 1980 التي سبق أن أسهبت في وصف معالمها. وجدت الحداثة والحركة تتسلل إلى بكين، وملابس الجمهور تتعدد ألوانها بعد أن كان اللون الرمادي هو السائد فيها للرجال، وعدد السيارات ومنها السيارات الأجنبية تنافس الدراجات الهوائية والمشاة في الطريق. وكذلك بدأت بنايات عالية تشيد ومطاعم صينية خاصة حديثه راقية تفتح وإعلانات الكوكا كولا ومطاعم الوجبات السريعة ظاهرة للعيان. كما بدأت المحلات والبضائع الأجنبية تبرز للوجود وعدد الفنادق الدولية يتزايد ومنها فندق شيراتون حيث سكنا واستطعنا أن نتفاهم مع العاملين فيه باللغة الانجليزية على عكس الفندق الشبيه بالقلعة العسكرية الذي سكنت فيه خلال زيارتي السابقة عام 1980.

رتب لنا الفندق رحلة بسيارة تكسي لمدة أربعة أيام ضمن خط سير محدد. أعطيت للسائق نسخة مفصلة مكتوبة باللغة الصينية، زرنا في اليوم الأول سور الصين العظيم. وكانت دهشة أم خليفة والأولاد بالسور كبيرة تؤكد لهم ما ذكرته لهم عن سور الصين العظيم، وخرجنا في طريقنا على مدافن السلالات الصينية الحاكمة. وانتهت رحلة اليوم الأول بغداء متأخر في أحد مطاعم الصين الشهيرة الفاخرة الذي يتكون طاقم العاملين فيه من خدم القصور الإمبراطورية وطباخيهما. والأكل فيه من أذ وأشهى ما يتناوله الإنسان والخدمة راقية.

وفي اليوم الثاني زرنا القصر الصيفي للإمبراطور والبحيرات التي شقت حول القصر تحيط به لتبريد مناخه في الصيف كما سبق ووصفت في الفصل الخامس من هذه الذكريات. كما زرنا مسجد بكين وصلينا فيه وزرنا الحي الإسلامي وتوقفنا في محلاته التجارية وخاصة محلات الحلوى الحلال. وواصلنا زيارة بقية المعالم التاريخية والقصور الإمبراطورية. وانتهينا أيضا بالغداء المتأخر في احد المطاعم الصينية الشهيرة. وخصصنا اليومين الأخيرين للتسوق والتمشية في بكين فزرنا متجر الصداقة ومتاجر جديدة أخرى بدأت تنافسه في بيع السجاد والحريز والتحف والهدايا المعبرة عن الصين وبكين خاصة. ومنها سيوف وآلات موسيقية صينية شبيهة بالربابة ما زلت احتفظ بها في بيت المزرعة.

وفي اليوم السادس من زيارتنا غادرنا بكين إلى سيوول عاصمة كوريا الجنوبية وسكنا في ضاحية من ضواحيها في منتجع شيراتون. كنا نذهب لمدينة سيوول المزدهمة بالناس ذات البنايات الشاهقة والمظاهر الإسمنتية أثناء النهار ونعود قبل المساء إلى المنتجع الذي نسكن فيه.

كما قمنا أيضا بزيارة سياحية جميلة مرتبة مع دليله سياحية كورية صاحبتنا إلى مدينة كيونغ جو التي ترجع أهميتها التاريخية إلى كونها عاصمة مملكة شىلا القديمة التي استمر حكمها ما يقرب من الألف عام. وتعد كيونغ جو بمثابة متحف مفتوح، إذ يوجد في أرجاء المدينة العديد من المقابر الملكية، والمعابد، وتمائيل بوذا، وبقايا القلاع. وتعتبر اليونيسكو آثار مدينة كيونغ جو التاريخية تراثا إنسانيا، ففيها العديد من المعابد البوذية التاريخية التي شاهدنا فيها أفرادا بوذيين يصلون صلاة

فردية فيها الكثير من مظاهر الصلاة عند المسلمين مما لفت نظرنا وجعلنا نتكلم عن التواصل الحضاري والتقليد بين مختلف أمم الأرض وشعوبها.

عدنا بعد تلك الرحلة المريحة المعلمة للمدينة الأثرية الهادئة في كوريا الجنوبية، إلى العاصمة سيوول المزدهمة حديثة المظهر بعد أن دمرتها حروب شطري شبه جزيرة كوريا بين الشمال والجنوب والتي مازال الصراع بينهما مستمرا يصب على ناره الزيت من له مصلحة في استمراره. عدنا كما ذهبنا بحافلة عامة تسير على الخط بين مدينة كيونغ جو وسيوول عبر انهار صغيرة رقافة صافية وروافد كثيرة مررنا بها في بيئة نقية جميلة أخاذة بمناظرها الطبيعية، إلى الضاحية التي نسكنها في العاصمة بعد قضاء ثلاث ليال في تلك المدينة التاريخية. وبعد يومين سافرنا إلى هونغ كونغ بعد أن قمنا بشحن ما اشتريناه من هدايا ثقيلة الوزن كبيرة الحجم منها آلات موسيقية لضحى وإخوانها.

\*\*\*\*\*

وصلنا هونغ كونغ في طريق عودتنا وسكننا أيضا في فندق شيراتون على ميناء هونغ كونغ الكبير المزدهم الذي يعج بالناس وبالضائع والبواخر التجارية، ويزدهم بالمراكب والعبارات التي تنقلك بحرا إلى شبه جزيرة كولون المقابلة لجزيرة هونغ كونغ.

كانت هونغ كونغ وشقيقتها ماكاو وقتها في عام 1989 تحت الاستعمار البريطاني حتى أعيدت ملكيتهما لجمهورية الصين الشعبية عام 1997. وعند زيارتنا للمستعمرة كان أكثر من 90% من سكانها من الصينيين ولغتها الصينية ومظاهر الحياة الصينية هي الغلبة في كل ما ترى وتسمع. هذا ما عدى المباني الخرسانية العالية الحديثة وسيادة نظم رسمية انجليزية، في وضع يبدو لك أن هناك سكانا وليسوا مواطنين تحكمهم سلطة أجنبية، لا يتدخل السكان في الشؤون السياسية والإدارية ولا السلطة المستعمرة تتدخل في نمط حيات السكان وثقافتهم الصينية السائدة.

تمتعت أسرتي و سعدت معهم بزيارة هونغ كونغ مرة أخرى. أدهشتنا الحركة الدائبة والشوارع المزدهمة والموجات البشرية المستعجلة من أمرها في كل ما تعمله وتقوم به، بشكل لم تشاهده أسرتي من قبل حتى في بكين وإن كنت قد رأيت بعضا منه في زيارتي السابقة لتايوان وهونغ كونغ منذ عشرة أعوام.

معالم هونغ كونغ هي أساسا أسواقها ونمط الحياة المزدهمة فيها، وبعض مواقع التسلية والمواقع الطبيعية التي تتيح للسائح نظرة بانورامية خلابة على المستعمرة التي تناهز مساحتها 1000 كم مربع. سكانها صينيون وحكومتها استعمارية بريطانية معنية بالسيادة والسيطرة على المستعمرة تاركة السكان وشأنهم يعيشون نمط حياتهم ويحققون طموحاتهم المادية والشخصية.

حرصنا على زيارة معالم هونغ كونغ. وتأملنا حياة الناس الغربية فيها وتمتعنا بمطاعمها التي يجد كل سائح فيها ما يحب ويشتهي. وتسوقنا من متاجرها العامرة بسلع الصين الشعبية، فقد كنا في المحطة قبل الأخيرة من رحلتنا حول العالم. وقد أذنت للأسرة بالشراء الشخصي وملء حقائب إضافية اشتريناها، بعد أن اتفقت معهم على أن يتجنب كل منا خلال زيارة ما سبق من محطات الرحلة، شراء ما لا يمكن حمله بسهولة في شنطته ويتعذر شحنه ببسر إلى قطر.

ولا يفوتني هنا أن أذكر مشكلة حصلت لنا قبل سفرنا من هونغ كونغ إلى بانكوك في تايلند، وهي المحطة الأخيرة من رحلتنا والذي كان متأخرا حوالي العاشرة مساء. ولذلك ذهبنا للتسوق في عمق هونغ كونغ وعند الساعة الرابعة عصرا بدأنا نبحث عن تكسي يعيدنا على عجل إلى الفندق. ولكننا لم نجد أي سائق تكسي من العشرات الذين يمرون علينا دون أن يستجيب أي منهم لإشارتنا التي بدأت بالشكل المعتاد ثم أصبحت أكثر إلحاحا مع تجاهل كل سائقي التاكسي لنا دون سبب مفهوم لدينا. فبدننا نرمي بأنفسنا على كل سيارة أجرة نجدها فارغة دون فائدة وكل ما نتلقاه من استجابة هي إشارات عصبية لنا بالابتعاد عن طريقهم وكأننا منبوذون نحمل مرضا معديا.

وبعد حوالي ساعة من المحاولات الفاشلة لجأنا لرجل أمن أحد المحلات الكبرى ظهر أمامنا، ليساعدنا ويحل مشكلتنا. ولكنه لم يكن يجيد التحدث باللغة الانجليزية، فأخذنا إلى داخل المتجر ليفهم ما نريد بعد أن يقوم مسؤول في المركز بترجمة كلامنا له. شرحنا مشكلتنا وأكدنا على ضرورة عودتنا إلى الفندق بسرعة حتى نلحق بطايرتنا المغادرة هذا المساء. وعندها علمنا أن سبب عدم استجابة سائقي التاكسي لإشارات الوقوف تعود إلى أنهم في العادة ينتهي دوام من يعمل منهم منذ الصباح بين الرابعة أو الخامسة مساءً وخلال هذه الفترة يرفض سائقو التاكسي في العادة التوقف للركاب لأنهم في طريق العودة إلى مواقع تسليم السيارات لسائقين آخرين في المساء، ويخشون أن يأخذهم الراكب في طريق غير الجهة التي يقصدون.

عرف السبب فبطل العجب وقلنا لرجل الأمن من خلال المترجم ما العمل قال إنه سوف يتصل الآن بإحدى سيارات الأجرة لتوفير سيارة تعيدنا إلى فندق شيراتون. وقد فعل مشكوراً لنصل الفندق حوالي السادسة مساءً ونغادر إلى المطار في السابعة دون عشاء لنلحق بطايرتنا التي أفلعت إلى بانكوك حوالي الساعة العاشرة مساءً.

\*\*\*\*\*

غادرنا مطار هونغ كونغ ووصلنا فجر اليوم التالي إلى بانكوك حيث اتجهنا إلى فندق شيراتون هناك أيضاً. وبعد أخذ قسط من النوم خرجنا بعد منتصف النهار لنرى المدينة ونرتب رحلاتنا الداخلية خلال فترة زيارتنا. وأذكر أننا تمشينا على النهر وتوقفنا في بعض الأسواق حيث وجدنا تسهيلات كبيرة لدى محلات الخياطة فالقماش جيد وجميل والخياطين الماهرين على استعداد لتفصيل وخياطة ما نطلبه من ملابس نسائية أو رجالية في مدة لا تتعدى يومين، وإن كنت مستعجلاً فالיום الواحد يكفي لديهم. وقد استفدنا من تلك الفرصة وفصل كل منا ما يحب ويناسب له من ملابس. ولم يفتنا بالطبع العشاء في مطعم تايلاندي ضمن رحلة سياحية مسائية تصاحب الأكل فيها عروض فولكلورية وموسيقى تايلندية ورقص تقليدي.

وفي اليوم الثاني بدأنا رحلاتنا السياحية مبكرين بزيارة السوق العائم في النهر حيث يشتري الناس من الزوارق في عرض النهر ما يحتاجون من خضار و مواد غذائية، ثم توقفنا في طريق العودة عند حدائق نهريّة متخصصة في تربية التماسيح والزواحف وعدنا قبل منتصف النهار لنذهب بعد الغداء في زيارة لمشاهدة معالم المدينة. زرنا خلالها معابد بوذية وقصر الملك وعدنا في المساء في مركب نهري من الضواحي إلى المدينة في رحلة ختمنا بها يومنا الطويل.

وفي اليوم التالي ذهبنا في رحلة خارج المدينة إلى محمية فيلة لمشاهدة الاحتفالات التي تجري هناك، حيث يشارك السياح مع الجمهور التايلاندي في الركوب على ظهور فيلة مدربة رافة بالزوار. وقضينا اليومين الأخيرين في التسوق والفرجة في المدينة المزدهمة قبل أن نغادر إلى البحرين في اليوم الخامس من وصولنا إلى تايلاند في طريقنا إلى الدوحة.

وفي البحرين مكثنا ليلتين وتصرفنا كسياح، لأنها المرة الأولى التي تزور فيها أسرتي البحرين. وكان أول ما ذهبنا إليه في صباح اليوم الثاني لوصولنا البحرين جزيرة عراد حيث مثنى أمي موزه بنت يوسف منذ ثلث قرن آنذاك، في مئوها الأخير رحمها الله وغفر لها وأسكنها فسيح جناته. وبعد تلك الزيارة لجزيرة عراد التي لم نستدل فيها على المقبرة التي كان أهل حالة النعيم واسلطه في شرق جزر البحرين يدفنون موتاهم فيها. قرأنا الفاتحة على روح أمي وجدة أبنائي الطاهرة، وواصلنا طريقنا شرقاً لمدينة الحد وقلالي حيث كان يسكن المناعة أهل زوجتي أم خليفة في البحرين، ومن ثم عدنا إلى الفندق عن طريق المحرق.

وفي اليوم الثالث ذهبنا في جولة إلى غرب وجنوب البحرين حتى رأس البر مررنا فيها على رفاع البوكوارة وعدنا منها بعد الظهر لنغادر إلى الدوحة في المساء، خاتمين رحلتنا حول العالم التي استغرقت ما يقارب ثلاثة شهور جميلة مدهشة بما شهدنا وتعلمنا جميعاً خلالها من أحوال شعوب العالم وحضاراته وأيناه من غرائب وعجائب الدنيا وأحوال الناس خلال أطول رحلة سياحية نقضيتها معاً، بعيداً عن هموم الحياة واهتمامات العمل والنشاط العام.

### 3-13 اجتياح العراق للكوييت: غزو يوئد غزوا واحتلالا

في صيف عام 1990 كنت مع أسرتي في أكسفورد أستكمل ما لدي من مهمات وبحوث وأنقحها نقضي إجازة الصيف في رحلة استجمام، تتخللها فترات قصيرة من السياحة في ربوع بريطانيا وأحيانا نساغر خارجها ونعود إلى البيت الذي نستأجره في أكسفورد كل صيف.

في ذلك العام كنت منشغلا باتصالات وترتيبات تخص الجماعة العربية لتعزيز التضامن العربي، التي كنا نعقد عليها الآمال في تنمية رأي عام عربي ضد تفكيك المجتمعات العربية وضد العدوان الأجنبي على البلاد العربية ومع تعضيد المساعي الديمقراطية في الدول العربية. وكنت أيضا أستفيد من وجود عدد من أعضاء الجماعة الأهلية في لندن منهم الأستاذ جاسم الصقر أمين صندوق الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي الذي كان في لندن في بداية الصيف، والأستاذ محمود رياض الذي كنت أزوره بين الحين والآخر في لندن حيث يقضي الصيف مع السيدة زوجته الكريمة في شقة صغيرة جميلة بلندن في منطقة St. Jones Wood ، والتشاور معه حول ما نحن بصدد تحضيره والسعي إلي توفيره من موارد وإمكانيات يتطلبها نشاط الجماعة، وهو ذو طبيعة دائمة مقارنة بنشاط الجماعة الأهلية لتعزيز جهود إيقاف الحرب العراقية الإيرانية ذات الصفة المؤقتة المرهونة بانتهاء الحرب.

\*\*\*\*\*

وفي أواخر شهر يوليو/ تموز ذهبت والعائلة في رحلة جميلة بسيارة استأجرتها من أكسفورد إلى منطقة البحيرات Lake District بمقاطعة كمبريا شمال غرب انجلترا. كانت وجهتنا في اليوم الأول من الرحلة بلدة قريبة من منطقة البحيرات من أجل زيارة مصنع أثاث كنت أرسله من أجل شراء أثاث لبيتنا في الدوحة، وكان بالصدفة تحت الصيانة بعد عشر سنوات من بنائه.

وصلنا تلك البلدة بعد الظهر وقمنا بزيارة المصنع واخترنا الأثاث الذي قررنا اختياره من كاتالوغ المصنع بعد أن عاينا الأثاث المعروف على الطبيعة هناك. وقبل المغرب بقليل غادرنا في طريقنا لمنطقة البحيرات قاصدين بحيرة وندرمير Windermere. وبعد حوالي ساعة توقفت السيارة فجأة ولم يعد في وسعنا تشغيلها فاتصلنا بنادي السيارات AAA الذين وصلوا مشكورين بسرعة وبدلوا جهدهم لتصليح سيارتنا دون فائدة، فقرروا حملها على ظهر قاطرة متصلة بسيارتهم وأركبونا في المقعد الخلفي لتلك السيارة التي أتت لتسعفنا: أم خليفة وأنا وضحي وخليفة وصبا. فازدحم المقعد الخلفي بنا وأخذ الأولاد يتحكمون على سيارتنا التي ركبت على ظهر الإسعاف مثلنا، مما حول المشكلة إلى موضوع للضحك والتسلي حتى وصلنا بلدة أخرى فيها ورشة تخصص نادي السيارات. وفحصت سيارتنا فوجدت غير صالحة للسير والاستخدام لبقية أيام الرحلة التي كانت في بدايتها.

عرض علينا القائم على ورشة التصليح، بعد اتصاله بالشركة التي استأجرنا السيارة منها، أخذ سيارة بديلة نقضي بها إجازتنا في منطقة البحيرات التي تتطلب زيارتها وجود سيارة للتنقل بين البحيرات وفي الريف الجميل المحيط بها في مقاطعة كمبريا التي أعرفها بحكم قربها من مدينة درم شمال شرق انجلترا حيث كنت ادرس الدكتوراه، ومنها كنا نزور منطقة البحيرات مع زملاء الدراسة بين فترة وأخرى. وبعد ترتيب الأمر أخذونا بسيارتهم إلى مدينة صغيرة أخرى وسلمونا السيارة البديلة التي قضينا أسبوع من التنقل بها في منطقة البحيرات ذات المناظر الخلابة. وكل يوم نزور بحيرة ونتوقف في ريفها والقرى الانجليزية الصغيرة المتناثرة هناك ونعود في المساء للقرية التي نسكن فيها لتناول العشاء والنوم الهادئ اللذيذ. وبعد عدة أيام قضيناها متمتعين بالطبيعة الخلابة لمنطقة البحيرات عدنا إلى أكسفورد.

وفي طريق عودتنا إلى أكسفورد توقفنا لقضاء ليلة ويوم لزيارة مدينة تشستر Chester التاريخية. وهي من مدن العصور الوسطى في انجلترا مسورة بسور يحيط بالمدينة الصغيرة، شبيه بسور الصين من حيث الشكل ولكنه قصير لا

يقارن به إلا من حيث وجود ممر فوق السور الذي يحيط بالمدينة التاريخية حيث يمشي الناس فوق السور لمشاهدة المدينة قبل النزول منه إلى أحياءها وأسواقها المختلفة.

وفي مساء اليوم الثاني لوصولنا غادرنا مدينة تشستر إلى أكسفورد فوصلناها بعد منتصف الليل متعبين نحلم بالراحة والنوم العميق على أسرتنا في منزلنا بمدينة أكسفورد.

\*\*\*\*\*

عندما أفقتنا من النوم متأخرين في صباح يوم الثاني من أغسطس 1990 كان غزو العراق للكويت قد مرت عليه ليلة ومنتصف نهار، منذرا بكارثة عربية مازالت توابعها تنتالي حتى اليوم، وربما يكون القادم على وجود الدول العربية ومجتمعاتها الوطنية أسوأ من ذلك. فغزو العراق للكويت فتح الثقب الأسود وأطلق الدبابير، بل خرجت أخطر الزواحف السامة من جحورها. وأتيحت بذلك فرصة تاريخية لأعداء العرب بأن يجهضوا بوادر التضامن العربي ويحققوا ما كان يصعب تحقيقه في العلن. فجندوا العرب والمسلمين لتحقيق ما كان يصعب عليهم تحقيقه من غزو منابع النفط قبل ذلك الغزو المشؤوم الذي جاء بسبب نفثي ظاهرة حكم الفرد الواحد الأحد في الدول العربية، حيث يحتكر الحاكم الفرد المطلق فيه حق تحديد الخيارات واتخاذ القرارات العامة، في العراق وأيضا في بقية الدول العربية دون استثناء. وقد انهار التضامن بين الحكومات العربية فعجزت عن تحرير الكويت دون تدمير العراق وتركها مصيرها في يد أعدائها بحجة 'يا روح ما بعدك روح'. وهذا الشعار الفردي المفهوم لا ينطبق على الأمم والشعوب حيث تكون المصلحة العامة للجماعة هي القيمة الوطنية والقومية العليا، التي يجب أن تجتريح لها الحلول والتسويات وتكون السياسة هي الوسيلة لتقليل الأضرار في المدى القصير والمتوسط والبعيد.

بعد أن تأكد لي الخبر من متابعة محطات تلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية لبعض الوقت - وليته لم يتأكد وكان مجرد كابوس ليلة صيف، سارعت للاتصال بأصدقائي في أكسفورد: رغيذ الصلح وروبرت مابرو مدير معهد دراسات الطاقة بجامعة أكسفورد. وخرجت للقاء بهم بعد الغداء من أجل فهم أبعاد الأزمة وما إذا كان هناك ما يمكن عمله. كما اتصلت بالأستاذ محمود رياض في لندن وعدد من المعارف والأصدقاء الموجودين في لندن آنذاك واتفقنا على اللقاء صباح اليوم التالي.

عدت للبيت لأخذ مكاني مسمرا أمام التلفزيون أتابع الأخبار والتطورات لحظة بلحظة. وكنا في بريطانيا وقتها لا نشاهد في جهاز التلفزيون سوى المحطات البريطانية. وأظن بأنني مكثت هناك حتى ما بعد منتصف الليل، مشدودا لتتابع الأخبار المزعجة، وعائلتي بجانبني أمام جهاز التلفزيون دون أن اسمع عن موقف غير موقف الحرب والتهديد الذي لا يترك مخرجا لما وقع فيه العراق من مصيدة نتيجة للضغوط الاقتصادية الناتجة عن الحرب العراقية الإيرانية على العراق، وما زينته النفس الأمارة بالسوء للحاكم الفرد الذي لا يخضع لغير تفكيره الفردي وما تسول له نفسه من مطامع وأحلام غير واقعية بحجة " قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق".

إنها مصيدة تم تشجيع صدام حسين علي المضي فيها وفق ما جرى في 25 يونيو 1990 حين التقى صدام حسين مع السفيرة الأميركية أبريل غالاسبي التي قالت إن أميركا ليس لها رأي بشأن صراع عربي-عربي'. وهي مصيدة أعدت سيناريواتها بدقة وخبث وبحرفية سياسة ودبلوماسية وعسكرية لدول عظمى تهيمن على قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة في بداية عصر القطب الواحد بسبب إضعاف وتفكيك الاتحاد السوفيتي.

وقد كان الصوت الرسمي الوحيد الخافت في زحمة الضجيج الذي يطرح في الظاهر مخرجا للعدوان العراقي على الكويت، هو صوت الملك حسين ملك الأردن الذي كان يدعو لانسحاب فوري للقوات العراقية من الكويت وتسوية الأزمة في الإطار العربي. وكان صوته يغرد دون وجود سرب فاعل ينتمي إليه. فالحكومات العربية ظلت صامتة لبضعة أيام حتى زار السيد تشيني وزير الدفاع الأميركي المملكة العربية وأخرجها من صمتها وزار السيد بيكر وزير الخارجية مصر وجعلها ترتب اجتماعا للجامعة العربية هو أقرب للفضيحة والتخلي عن المسؤولية الإقليمية وتجبيرها للولايات المتحدة

الأميركية والتحالف الذي انضم إليه أكثر من ربع الدول العربية على الأقل ومنها مصر وسوريا لتحرير الكويت وتدمير العراق.

وكان على رأس حملة معاقبة العراق السيدة ثاتشر Thatcher رئيسة وزراء بريطانيا التي كانت تصرخ مؤكدة ومشجعة الآخرين على استخدام قوة كلمة التهديد والوعيد في المعركة The power of the word على حد تعبيرها. يضاف إلى هؤلاء الرئيس بوش الأب وبقية قادة الغرب وبعض الحكام العرب الذين كانوا يهددون ويتوعدون بالانتقام من صدام الذي أصبح عدو الإنسانية الذي يجب أن يزول من الوجود ومعه نظامه وجيشه ومقدرات الدولة العراقية وكل مؤسساتها الوطنية وما خرج به العراق من إمكانات صناعية وخبرة عسكرية. وقد نمت هذه الإمكانيات خلال فترة الحرب العراقية الإيرانية، بدعم عربي عام ومساهمة أقطار مجلس التعاون بشكل خاص عندما كانت أنظمة الحكم في المنطقة مهددة بزخم الثورة الإيرانية واندفاعها.

\*\*\*\*\*

في صباح اليوم الثاني من الغزو ذهبت إلى لندن. وأذكر أن لقائي الأول كان مع عدد من أهل الكويت الكرام اجتمعوا في شقة الدكتور أحمد الخطيب في لندن، وكان من بين الحضور الزعيم القومي العربي جاسم عبد العزيز القطامي الذي وقع الغزو عليه وقع الصاعقة، التي أضرت بأهل الكويت دون وجه حق وفتحت أبواب جهنم على الأمة العربية التي أمن جاسم القطامي وعمل طوال سنوات عمره من أجل تحقيقها.

وفي ذلك اللقاء كان حجم الكارثة على أهل الكويت هو موضوع الحديث. فقد أصبح شعب الكويت تحت احتلال جار عربي ظالم متعطر، وقف معه أهل الكويت حكومة وشعبا طوال سنوات الحرب العراقية الإيرانية، وتربطه بشعب العراق أوثق الروابط وأقوى العلاقات التاريخية. وأذكر أن لقاءنا في اليوم الثاني كان بمثابة مأتم عزاء يواسي الحضور فيه بعضهم بعضا حيال مصاب جلل أصاب الوطن الذي فقدوه في لحظات، بل إن أرواحهم في بنوك أي بلد يقيمون فيه قد جمدت، وما يصرف لكل منهم من حر ماله لا يتعدى المصروف اليومي، أما بقية أسرته وحقه في التصرف في ممتلكاته داخل الكويت وخارجها فقد جمدت بالكامل إلى إشعار آخر بموجب سلسلة قرارات مجلس الأمن التي بدأت تنهال وكأنها قد أعدت قبل الغزو.

وهذا فعلا ما قاله لي الأستاذ محمود رياض عندما التقيت به في لندن في الأيام الأولى من الغزو لأنتشاور معه في إمكانية قيام الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي بجهد أهلي ربما يعزز ما كان الملك حسين يطرحه وتقول به بعض الدول العربية من حل عربي لكارثة غزو العراق واجتياح الكويت وتشريد أهلها، دون أن يدمر العراق.

كان الأستاذ محمود رياض رحمه الله متألما من الغزو ومستنكرا لقيام العراق باجتياح الكويت بعد أن وعد الرئيس صدام الرئيس حسني مبارك قبل أيام من الغزو بأنه لن يغزو الكويت. وأذكر أن الأستاذ محمود رياض قال لي بعتب على صدام: "حسني مبارك 'برضه' رئيس مصر"، وتضليله هو استهانة بمصر ومكانتها العربية، التي كانت تسعى لإيجاد حل للضرورة مثلما فعل الرئيس جمال عبد الناصر عندما هدد عبد الكريم قاسم باحتلال الكويت عام 1961.

كما قال لي الأستاذ محمود رياض أنه لا يجد فرصة لحل سلمي للضرورة وإنه يرى أمام عينيه قرارات مجلس الأمن تعد لمعاقبة العراق وليس تخليص الكويت فقط، وكان تلك القرارات قد أعدت قبل الغزو ونفذت بنتتابع وبسرعة قياسية لم يسبق أن مرت بها عملية اتخاذ القرارات في مجلس الأمن. وليس هناك حسب تقديره فائدة من تحرك أهلي عربي. وإذا كان ما زال عندي أمل في الوصول إلى حل سلمي من خلال تحرك أهلي، فإن عليّ أن أجس النبض وأن أقوم بالتشاور حوله قبل دعوة الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي للاجتماع.

قضيت بضعة أيام أنتقل فيها في لندن للقاء من أعرفه ويمكنني اللقاء به من أهلنا في الكويت، كما أזור الأستاذ محمود رياض ومن أعرفه وأتوسم فيه الخير من العرب المقيمين في لندن وأكسفورد. وكنت أيضا أجري اتصالات هاتفية بمن

يمكنني الاتصال به من أعضاء الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي. وكان ذهني منذ بداية الغزو البيغض متجها لصديقي الحميم جاسم السعدون الذي صدف ذلك العام أنه يقوم برحلة حول العالم مع عائلته. وربما كنت قد شجعتة على القيام بها وأغريته بسهولة بعد أن عدت من رحلتي حول العالم مع العائلة في العام السابق.

كنت قلقا على أبو عبد الله جاسم السعدون وعائلته لأن جميع الكويتيين لا يمكنهم استخدام بطاقات الائتمان ولا الصرف من حساباتهم البنكية أو التحويل منها، وليس لدي وسيلة للاتصال به سوى محاولة الاتصال من خلال شركة الخطوط الجوية البريطانية التي سافر على متنها. وقد طال الوقت حتى توصلت لمعلومات تفيد أنه قد قطع رحلته حول العالم وكانت في أواخر محطاتها في الشرق الأقصى وذهب إلى البحرين حيث يقيم والده وله العديد من الأصدقاء، أذكر منهم جاسم مراد وجمال فخرو الذين جهزوا له ولعائلته الكريمة المنزل ووفروا المكتب ووقفوا معه في كل شأن.

وعندما عدت إلى قطر حوالي منتصف شهر أغسطس كان أول شيء قمت به هو زيارة جاسم السعدون في البحرين والاطمئنان على أحواله بعد أن استقر في سكن مناسب وأدخل أبناءه في المدارس. وكنا سويا نذهب لأخذهم من المدرسة وتناول الغداء في منزله كما اعتدت في الكويت. كما تواصلت مع الأستاذ أحمد السعدون رئيس مجلس الأمة في الكويت والعضو النشط في الجماعة العربية للتضامن العربي المقيم في الدمام. وكنت أنوي زيارته هناك، ولكنه قال لي أنه قادم غدا للبحرين حيث نلتقي في بيت شقيقه المقيم في البحرين العم خالد السعدون والد الصديق جاسم السعدون.

التقيت بالأستاذ احمد السعدون الذي كان من أبرز العاملين المتحمسين لإيقاف الحرب العراقية الإيرانية، فوجدت أنه قد صدم بما حصل من غزو العراق واجتياحه الغادر للكويت وأن موقف شعب الكويت وحكومتها واحد وهو تحرير الكويت من الغزو العراقي. ولذلك، فإنه يعمل على هذا الأساس. وصادم لن يخرج من الكويت إلا بالقوة كما دخلها. وفهمت من ذلك أنه لا يرى أن هناك مجالاً لمساع أهلية فالمسألة أكثر تعقيداً ولا مكان فيها للنوايا الطيبة. وفي الحقيقة كانت هذه نظرة أهل الكويت عامة، حيث تركز سعيهم على رص صفوف الجبهة الداخلية وإزالة ما علق بها من آثار حل الحكومة غير الدستوري لمجلس الأمة في الكويت قبل الغزو والتحركات الشعبية لعودة العمل بدستور الكويت. وكانت الترتيبات تتجه نحو عقد مؤتمر شعبي لتأكيد ذلك التوافق الوطني والإعلان عنه.

عدت من البحرين إلى قطر مدركاً أنه لا توجد فرصة لتحرك الجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربي في ضوء الموقف الشعبي لأهل الكويت المغدورين بالغزو الظالم وشعورهم بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. ولذلك استعدت دعوة الجماعة الأهلية والزج بها في تحرك لا يقره من حيث المبدأ أعضاء فيها. فقد قامت الجماعة الأهلية على توافق جميع أعضائها على كل تحرك تقوم به. وذلك ما يجب أن يستمر إذا كان للجماعة الأهلية أن يستمر نشاطها بعد أن انفك حبل التضامن العربي، ليس على المستوى الرسمي ولكن أيضاً على المستوى الأهلي إلى حد كبير في تلك اللحظة الفارقة والحزينة من التاريخ العربي الحديث.

عشت مع بقية أهل قطر وأهل الخليج العربي والعرب عامة مأساة غزو الكويت واحتمالات تدمير العراق والكويت أيضاً في حالة الحل العسكري بقيادة الولايات المتحدة الأميركية وحلفها العسكري الثلاثيني الذي بدأت جحافل جيوشه تتوافد على المملكة العربية بمئات الآلاف. وانصرف جهدي في البداية إلى الوقوف مع من أنا على صلة به من أهل الكويت في محنتهم بقدر ما أستطيع، وإن كان ضميري يرفض سيناريو الحرب الانتقامية ضد العراق بدل أن يكون التركيز على تحرير الكويت دون تدمير العراق إن أمكن من خلال حل سلمي وفقاً للشرعية الدولية ومصالح الأمة العربية في المدى البعيد.

\*\*\*\*\*

نرح من الكويت عدد من الأصدقاء والمعارف وكثير من أهل الكويت الكرام الذين استقبلوا بالترحيب وحسن الضيافة والتعاطف الشعبي غير المحدود أينما توجهوا. ومن بين الذي نزحوا إلى قطر صديق وزميل دراسة في دَرَم هو الدكتور

عبد المالك التميمي وعائلته الكريمة، الذي التحق بجامعة قطر مع عدد من أساتذة الجامعة في الكويت وكان على صلة شخصية بالدكتور عبد الله جمعه الكبيسي مدير جامعة قطر بالوكالة وبى بحكم زمالته لنا في درم.

وزارنا في قطر أيضا عدد من الأصدقاء والمعارف من أهل الكويت الذين خرجوا منها، أذكر منهم الأخوين عبد المحسن مظفر وعبد العزيز السلطان. كما تكثفت الصلات بمن بقي في الكويت من الأصدقاء ومتابعة أمر من اختفى قسريا ومنهم الصديق فيصل الصانع رحمه الله.

كثرت زيارات احمد السعدون لقطر ضمن جولاته في المنطقة. وكان أحمد السعدون على صلة وثيقة بالكثيرين من أهل قطر، خاصة ولي العهد ووزير الدفاع آنذاك الشيخ حمد بن خليفة، كما أصبح جميع أصدقائي وبعض أقربائي في قطر أصدقاء لأبو عبد العزيز الذي قضينا الكثير من ليالي رمضان في ذلك العام نسهر معا متابعين لأحداث الكويت في مجلس الصديق خالد الربان رحمه وغفر له وطيب ذكراه العطرة. وقد أعد الديوان الأميري مسكنا عائليا مناسباً لأحمد السعدون في قطر، كما استضافه مع مرافقيه في فندق شيراتون الدوحة.

كذلك زارني الصديق جاسم السعدون في قطر مثلما كثرت زيارتي للبحرين للقاء به وبأحمد السعدون وعدد من أهل الكويت والبحرين الكرام. وكان الحديث يدور حول مؤتمر جدة الذي عقد بتاريخ 13 أكتوبر 1990 وألقى عبد العزيز الصقر الشقيق الأكبر لجاسم الصقر ورئيس غرفة التجارة والصناعة في الكويت والرئيس الأسبق لمجلس الأمة الكويتي كلمة فيه ممثلا لشعب الكويت. وهي كلمة أكد فيها على ثوابت الكويت الوطنية، ومنها العودة للحياة الديمقراطية والعمل بدستور الكويت المعطل قبل الغزو حال تحرير الكويت.

ولا يفوتني هنا أن أذكر بأنني كنت على اتصال بالهاتف مع الشخصية النبيلة الراقية صاحب الشعور القومي العربي المرفه الأخ العزيز أبو وائل جاسم الصقر الذي كان خارج الكويت في أوروبا وأحيانا في مصر. فقد كان الغزو كارثة أصابته من العراق البلد الذي قضى فيه قسطا من شبابه ودرس الحقوق في جامعته في أربعينيات القرن العشرين. وكان جاسم حمد الصقر وعائلته من أكثر الداعمين في الكويت للعراق أثناء الحرب العراقية الإيرانية.

\*\*\*\*\*

وإذا كان ما يشغل أكثر أهل الخليج بشكل عام آنذاك هو تحرير الكويت، فإنني إلى جانب ذلك كنت قلقا على ما أراه من تحييش هدفه يتعدى تحرير الكويت إلى تدمير العراق والقضاء على إمكانياته العسكرية والبشرية وتفكيك نسيجه الوطني، هذا فضلا عن إجهاض فكرة التضامن العربي أن لم يتم تحرير الكويت سلميا دون تدمير العراق. وكان السبيل لتحرير الكويت دون تدمير العراق آنذاك هو السهل الممتنع. فهو حل منطقي لمعالجة عدوان طائش بين دول متجاورة. ولكنه أصبح من المستحيلات بعد تصاعد صيحات الحرب واستكمال تجهيزاتها التي بدأت تعد من لحظة الغزو من قبل الولايات المتحدة وحلفاءها، تطبيقا لاستراتيجيات الغرب في المنطقة. وكان الغرب يقف ضد أي مقاربة لحل سياسي وفقا للشرعية الدولية يكون للعرب فيه دور يؤمن مصالحهم دون التضحية بالكويت وأهلها أو ينهي مبرر تدمير العراق وإعادته إلى الوراء لعقود قادمة تتحقق خلالها استراتيجيات معادية للعرب وهويتهم العربية الإسلامية الجامعة.

لم أياس بالرغم من كل المعطيات السلبية والمؤشرات الضعيفة تجاه الحل السلمي لتلك الأزمة المصيرية. فكلما هدأت طبول الحرب وتأخرت منيت النفس بمعجزة تسبق الحرب وتجهض مخططاتها العدوانية ضد حاضر ومستقبل الأمة العربية. ولم تظهر أي فرصة لتحرك للجماعة الأهلية لتعزيز التضامن العربية حسب ما لمست من التشاور مع أعضائها، وخاصة ما وصلني بقوة من الأستاذ محمود رياض والأستاذ أحمد السعدون بعدم وجود إمكانية واقعية لتحرك الجماعة الأهلية ولا جدوى من المحاولة. وعلى الرغم من ذلك، لم أستطع الصمت، وإنما وجدت نفسي بعد مدة من الغزو مدفوعا بوزاع الضمير إلى كتابة مقال يعبر عني شخصيا موجه لمن يهمله الأمر، ألح فيه على السباق مع الحرب الآتية المدمرة بكل تأكيد، وذلك بالدعوة لـ "دور عربي أهلي معني بحل أزمة الخليج". وشرعت في كتابة مقال يدعو إلى ذلك بعد انتهاء



المؤتمر الشعبي الكويتي الذي عقد في جده بتاريخ 13 أكتوبر مستبشرا بما تم فيه من توافق بين حكومة الكويت وشعبها على مستقبل الديمقراطية في الكويت، والمشاركة السياسية الفعالة في جهود تحريرها.

تشاروت حول مضمون المقال مع أصدقائي كالعادة واستمعت لتحفظاتهم الوجيهة من حيث عدم جدوى الدعوة لحل سلمي في وقت تدق فيه طبول الحرب وتدل كل المؤشرات على رفضه من قبل من بيدهم قرار الحرب والسلم. وبالرغم من إدراكي لذلك الواقع المر، إلا أنني لم أستطع أن أكون شيطانا أحرص تجاه ما يبببت ضد العراق والكويت والعرب عامة، بل توكلت على الله وكتبت مسودة عرضتها على بعض أصدقائي وأخذت بما اقتنعت به من تعديلات وصلنتي، خاصة من أهل الكويت. وكان المقال يعبر عن رأيي الشخصي الذي فرضه علي ضميري بالرغم من معرفتي باحتمالات سوء الظن، ونشرته في صيغته النهائية، بتاريخ 17 نوفمبر 1990. وأنا مدين لأهل الكويت الكرام لما أبدوه من تفهم لدوافعي وعلى حرصهم بأن لا يفسد اختلاف الرأي للود قضية.

وفيما يلي اترك المقال الذي جاء عكس التيار في المنطقة، يتحدث عن نفسه. فكل كلمة وحرف فيه كان يعبر عن رأيي المتواضع في ذلك الوقت. وما زلت أعتقد أن ما جاء فيه كان يمكن أن يكون له تأثير قل أو كثر لو كان أمر العرب بأيديهم وكانت الشعوب العربية تملك وسائل التأثير على تحديد الخيارات واتخاذ القرارات العامة المتعلقة بحاضر ومستقبل العرب الذي كان يتعرض لأزمة ما زلنا نعاني منها حتى اليوم، والقادم أسوأ إلا إذا لطف الله بنا، إنه لطيف رحيم.

\*\*\*\*\*

### "نحو دور عربي أهلي معني بحل أزمة الخليج"

منذ البداية، لا بد من التأكيد على أن الحل لازمة الخليج يجب أن يكون حلا سياسيا تراعى فيه المصالح العليا للعرب وفي مقدمتها مصلحة الشعب الكويتي. وغني عن البيان والتوضيح أن كل يوم يمر على استمرار الأزمة هو كارثة متصاعدة بالنسبة لشعب الكويت المقيم على أرضه، وتهديد لسكان المنطقة، وعامل تفكيك لروابط الأخوة بين الشعوب العربية التي تتضرر بفعل تداعيات الأزمة. كما يجب التأكيد أيضا على أن الحرب دمار شامل مادي ومعنوي، ليس بالنسبة لشعب الكويت والعراق ودول مجلس التعاون فحسب، وإنما لمعظم الشعوب العربية الأخرى. وهي فوق ذلك ضياع لقضايا العرب والمسلمين وطموحاتهم المشروعة. لذلك فإن أزمة الخليج إن تم حلها سياسيا عن طريق جهد عربي أو إسلامي أو دولي متجرد، فإن حاضر العرب ومستقبلهم سوف يكون أفضل من ماضيهم بشكل محسوس. أما إذا حسمت بعمل عسكري أميركي فإن الدمار المادي والمعنوي سيكون مصير العرب أجمعين محكومين وحاكمين. ومن هذا المنطلق يجب أن لا نركن إلى خيار الحسم العسكري بل يجب أن نسبقه بحل سياسي يصون الكويت ويحفظ العراق ويحمي العرب والمسلمين من هيمنة أعدائهم. وعلى أي الأحوال فهناك ما يكفي من الاعتبارات والدوافع لدى آخرين لاستمرار الخيار العسكري والذي يبدو أن لنا القليل من القدرة على منعه والقليل من المصلحة فيه. لذلك فإن دعوتنا إلى التعامل سياسيا مع أزمة الخليج هي دعوة تدرك ضرورة السباق مع الزمن للحيلولة دون وقوع كارثة الحرب التي لا بد أنها واقعة إذا لم تحل أزمة الخليج سلميا.

ومما يؤسف له حقا، أن العرب على المستوى الرسمي والأهلي حتى وقتنا الحاضر وقفوا عاجزين عن احتواء الأزمة بعد أن انقسموا فيما يشبه الحرب الأهلية، بين منادين بالحسم العسكري ومعاقبة العراق، وبين مطالبين بحل عربي بعيدا عن أهداف الحشد العسكري الأجنبي في المنطقة. وقد شل هذا الانقسام الخطير قدرة العمل العربي الأهلي، وتعطل بموجب ذلك عقل الأمة وتمزق ضميرها. فمن هم يا ترى أولى من عقلاء قيادات الفكر والعمل السياسي الأهلي بالتعبير عن ضمير الأمة والتفكير من أجل إنقاذ حاضرها وضمأن مستقبلها. لقد أصبح العرب بهذا الانقسام يفتقرون إلى موقف بناء. وأصبحوا مجرد شهود على انتحار أمتهم، وضياع ثمرات جهاد

أجيال عربية في سبيل الاستقلال والسيادة وبناء مجتمعات تنعم بالأمن والنماء وتساهم من خلال حضارتها العربية – الإسلامية في بناء مجتمع دولي إنساني تصان فيه الحقوق وتؤدي فيه الواجبات.

ومما لا جدال فيه اليوم، ملاحظة غياب أي دور إيجابي فعال للعمل الأهلي يكون معنيا بحل أزمة الخليج في ضوء المصالح العليا للعرب والمسلمين. لقد تعطل حتى الآن كل جهد عربي إيجابي نتيجة صدمة اجتياح العراق للكويت وما تلا ذلك من آلام تكبدها شعب الكويت العربي المسلم من ناحية ... ومن ناحية أخرى نتيجة لمؤشرات الحسم العسكري الأميركي المتلاحقة والمتصاعدة باستمرار لقد بدأ منذ الساعات الأولى للاجتياح العراقي أن الأمر قد تقرر حسمه عسكريا من قبل الولايات المتحدة وليس بقدرة أحد أن يثني الولايات المتحدة عن تحقيق أهدافها المعلنة وغير المعلنة التي تم التصريح بها قبل الاجتياح العراقي وبعده والتي تفرضها الاستراتيجية الأميركية في المنطقة وفي العالم. لقد أثرت الولايات المتحدة على خيارات العرب، وثلت نظامهم الإقليمي، مما ترك العمل الرسمي والأهلي ضائعين تحت رحمة انتظار الحسم العسكري.

والآن وبعد أن مر حوالي أربعة أشهر على أزمة الخليج يجب أن يكون الذين قد ركنوا إلى قرار الحسم العسكري ومعاقبة المعتدي، قد تأكدوا أن قرار الحسم العسكري ليس في أيديهم ولا هو مرهون بقرارهم ومصالحهم، بل هو في أيدي دول عظمى مرهون بمصالحها وحساباتها التي لا تأخذ مصالح العرب في الاعتبار. إن قضية شعب الكويت قضية عادلة لا يجوز لكل من يعتقد بعدالتها أن يركن إلى حرب أميركية مدمرة للعرب من أجل كسبها. إن شعب الكويت أو شعب العراق لا يمكن أن يربح أي منهما فيما تخسر الأمة العربية جمعاء فيه. فهل يسمح لنا طرفا الحرب الأهلية العربية، بعد هذا العجز الرسمي والأهلي، بفعل انقسام العرب، أن ندعو ذوى الغيرة والقدرة من رموز الفكر السياسي في مختلف البلدان العربية إلى كلمة سواء، تخلص شعب الكويت من تبعات الاحتلال، وتحفظ شعب العراق وتصون قدراته، وتجنب العرب كارثة لا يرغب غير أعدائهم في وقوعها؟ ولن يخسر أحدا من ذلك، فكل الخيارات الأخرى مستمرة، من الحسم العسكري الذي خرج قراره من أيدي العرب، إلى الجهود الدبلوماسية الرسمية الدولية منها والعربية. إن كل ما نطالب به إضافة جهد أهلي عربي مسئول لعل الله يجعله سببا في اختصار فترة المعاناة وينفع به كل الجهود الخيرة التي تسعى إلى استباق الحرب المدمرة بحل سياسي لازمة الخليج.

لقد وُاجه كل من يرى الأمور بغير منظار الآخر حتى الآن –إرهابا فكريا عطل الفعل العربي الأهلي الإيجابي– مع الأسف، لتحل مكانه ردة الفعل السلبية غير المسئولة. وهذا الإرهاب الفكري آفة حياتنا العربية المعاصرة، التي لا تتحمل الرأي الآخر وتتكبر حرية التعبير وتمنع المواطن، تحت طائلة التهديد، من التعبير عن راية في قضاياها المصيرية، ومنها أزمة الخليج التي لولا فقدان حياة العرب السياسية للديمقراطية وافتقارها إلى احترام حقوق الإنسان لما كان لها أن تقع أصلا. لذلك لا يوجد عذرا في الوقت الحاضر لعقلاء الأمة، التي منعته حتى الآن ظروف الحرب الأهلية العربية من المحاولة، من أن يبادروا إلى تنمية تحرك أهلي عربي يعمل في سباق الزمن من أجل ضمان حل سياسي لازمة الخليج. وحرى بعقلاء الأمة وأصحاب الضمير الحي فيها أن يروا أن القضية أخطر والكارثة أعظم من أن تبسط النظرة في أسبابها أو أبعادها، كما يستحيل تشخيصها وعلاجها بمنظار الأبيض أو الأسود. إن أزمة الخليج جد معقدة وليس غير العقل المتمكن من كبح جماح العاطفة بقادر على أن يقترب من رؤية عربية إسلامية، وينمي حركة أهلية تمارس الضغط على العمل الرسمي العربي من أجل تحمل مسؤولياته في إيجاد حل سياسي سلمي تراعى المصالح العليا للبلاد العربية فيه، ولا يخل بمبادئ الشرعية الدولية. إن مثل هذه الرؤية المسئولة والحركة الجادة هي وحدها القادرة على كسب احترام الرأي العام العالمي والتعاون معه. إن الشعوب الأوروبية والشعب الأميركي عندما يدركون وجود رؤية عربية لحل أزمة الخليج ويلمسون وجود حركة أهلية جادة سوف تتغير لديهم الصورة التي اختزلها الإعلام الغربي لمنطقة الأزمة باعتبارها شبه خالية ليس فيها سوى صحراء وجمل وبئر نطف.

وبعد، فإن هذا نداء موجه إلى نوى الغيرة والقدرة والى المؤسسات والمنظمات والاتحادات الأهلية في البلاد العربية لان تقوم بدعوة رموز الفكر والعمل السياسي الأهلي من أجل القيام بدورهم الاستراتيجي من توحيد رؤية الأمة حيال أخطر أزمة تواجهها ... وتمكين الرأي العام العربي من أن يكون له دورا إيجابيا في حل الأزمة سلميا. فهل من محيب أم أننا اكتفينا بإعلان ما نعتقد أنه مواقف مبدئية في بيانات ومقالات تقليدية حيال أزمة يتوقف على كيفية التعامل معها حاضر الأمة ومستقبلها.

والله من وراء القصد،،

علي خليفة الكواري

الدوحة في: 1990/11/17م

كتبت هذا المقال في أواخر شهر نوفمبر قبل شهرين من انطلاق عاصفة الصحراء المدمرة التي اختلطت تجاهها لدي مشاعر التأييد لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي الغاشم، بمشاعر الأسى لتدمير العراق وبغداد عاصمة الخلافة العباسية التي قادت الحضارة الإنسانية لعدة قرون في العصور الوسطى عندما كان الغرب يغرق في الظلام. وهذا الشعور ليس شعوري وحدي وإنما هو شعور عام لدى نسبة كبيرة من العرب، حتى أن أحد الإعلاميين الذي كان يقدم برنامجا تحريزيا ضد العراق استضاف أعتى الداعين للحرب، ومنهم جلال الطالباني، قد قال بشكل تلقائي في برنامج أذيع في تلفزيون قطر مساء اليوم الأول لبدء عاصفة الصحراء، " إنه ليوم أسود"، مما أدى لتجميد نشاطه الإعلامي والأكاديمي وتهديده بسحب الجنسية عقابا لما عبر عنه ضميره في صحو مفاجئة منه.

\*\*\*\*\*

نشر المقال على نطاق واسع، وكان أول من نشرته هي جريدة 'القدس' في لندن التي كان توجه المقال قريبا من توجهها. وقد قال لي الأخ عبد الباري عطوان أن هذا المقال هو أحد مقالين تم نشرهما في الصفحة الأولى في مكان مقال رئيس تحرير 'القدس العربي' والمقال الثاني كان لكلوفيس مقصود. كما نشر المقال في جريدة الاتحاد الاشتراكي في المغرب وجريدة 'الأهالي' في مصر وجريدة 'الخليج' في الشارقة وجريدة 'العرب' في قطر التي لم يسلم رئيس تحريرها الأخ خالد النعمة من اللوم على نشره للمقال. والجرائد التي نشرت المقال، فيما عدى جريدة الخليج في الشارقة التي تحفظت على ما جاء في المقال في رد كتب باسم الجريدة، كانت مؤيدة لما جاء فيه بشكل عام ومتبنية لما طرحه. وقد قال لي الأستاذ خالد محي الدين أن الدعوة للتحرك الأهلي التي نشرت في جريدة الأهالي، قد تم طرحها في حزب التجمع في مصر للمناقشة وتوصلوا لعدم وجود فرصة للقيام بتحرك أهلي مع استعدادهم للمشاركة فيه.

ومن بين الجرائد التي اهتمت بالمقال قبل غيرها، كانت جريدة 'الحياة' في لندن التي طلبت مني حال وصول المقال إليها سيرتي الذاتية لإرفاقها بالمقال الهام حسب قولهم. وبعد أن أرسلت السيرة الذاتية لهم فوجئت بعدم نشرهم المقال الذي سبقتهم على نشره جريدة القدس المنافسة للحياة على المستوى العربي والتي ارتفع توزيعها اثنا تلك الفترة الحرجة حسب ما ذكر لي الأخ عبد الباري عطوان من أقل من عشرة آلاف إلى ما يناهز مائة ألف نسخة بسبب دعوتها لتحرير الكويت دون تدمير العراق. وكى أتم الرواية أتيج لي بعد عدة سنوات في زيارة لجريدة الحياة في لندن أن التقي بمدير تحريرها الأستاذ عبد الوهاب بدر خان مدير تحرير الحياة آنذاك، فسألته بشكل شخصي عن سبب عدم نشر مقالي ذلك بالرغم من حماسهم لنشره في بداية الأمر، فأجابني بشكل صريح قائلا إن كتاباتي 'لا تمر من تحت سقف الجريدة'!

\*\*\*\*\*

سبقت عاصفة الصحراء التي انطلقت في 17 يناير/كانون ثاني 1991 ما كان بعض أصحاب النوايا الحسنة يدعون له من حل سلمي يحرر الكويت دون أن يدمر العراق. وأصبح العرب متفرجين على مسلسل الحرب من خلال فضائية CNN الأميركية التي أصبح بثها إلى الجمهور في أغلب الدول العربية يصل مباشرة على المحطات الأرضية مثلما يصل بث التلفزيون الحكومي في تلك الدول، وأصبح الإعلام الفضائي الأميركي مصدرا محليا لأحداث الحرب وجزءا من المعركة العسكرية التي استسلم لها العرب الذين أصبحوا متلقين لرواية الحرب التي تقودها الولايات المتحدة بتحالف ضم 34 دولة ضد دولة عربية واحدة، في حرب يصدق عليها القول المأثور، 'حق أريد به باطل'. وتصبح تلك الحرب بداية لحصار العراق وتجويعه لأكثر من عقد من الزمن حتى تهيأت فرصة غزوه واحتلاله وتدمير نسيجه الوطني عام 2003 بعد ثلاثة عشر عاما من غزوه للكويت الذي 'وُلد غزو العراق واحتلاله'، وأذن ببداية مسلسل تقسيم المقسم في الوطن العربي بعد أن أفلتت الطائفية البغيضة من عنانها وعمت الفتنة، كفانا الله وكفى للإنسانية جمعا شرها.